جُبل من تراب الأرض؟ بل كيف يكون «أجنبيّاً» عن أيّ مجموع من الناس مَن يحيا بحياة الناس ويموت بموت الناس؟ أفي الحياة وطنيّ وأجنبيّ؟ أم في الموت قريب وغريب؟ ومَن مِن الناس يدري إلى أيّ حدّ هو مدين بما تملك يداه، وتبصر عيناه، وبما يملأ جوفه ويكسو بدنه، وبما في قلبه وفكره، لهذا الإنسان أو لذلك وإن يكن من الأسكيمو أو من سلالة أفلاطون؟

لقد قفزت الحربان الأخيرتان بالناس قفزة مارد. وذلك بما نتج عنها من تداخل وتمازج بين الشعوب، وعبث بالتخوم والمقاييس، ومن اختراعات واكتشافات لو أحسن الناس استعمالها لاقتربوا مسافة ذات بال من السماء التي ما برحوا يحلمون بها ويمنّون النفس بالوصول إليها. إلّا أنّهم ما قفزوا قفزة إلى فوق حتى قفزوا قفزات إلى أسفل. فهم بأجسادهم في القمّة وبأفكارهم في القاع. وتفكيرهم ما يزال أقرب إلى غرائز ابن الغاب والصحراء منه إلى تفكير من سخّر البرق والأثير لخدمته واتّخذ من الهواء بساطاً لرجليه. فتعلقهم اليوم بالتخوم والأصباغ الزائفة كصبغة «الوطني» و«الأجنبي» هو أشدّ منه في كلّ يوم. وهم لا يفقهون أنّهم بعملهم ذلك يحتّمون على أنفسهم أن يعيشوا «أجانب» في أرض ما وُجدت إلّا لتكون موطناً للجميع. فما قولكم